ولايةُ الإنسانِ في القُرآنِ الكريم

مراجعة: الشيخ غسان الأسعد[٢]

ملخّص

يعالج هذا الكتاب قضيَّة الولاية في القرآن الكريم بوصفها مقامًا من مقامات الإنسان على المستوى المعنوي، وذلك وفق منهج التفسير الموضوعي، وقد تعرّض فيه لدراسة مقام الولاية، بقسميها التشريعيَّة والتكوينيَّة، وانصبّ اهتمام المصنّف على الولاية التكوينيَّة بالمعنى الخاص، وهو المقام الذي يثبت لبعض الأفراد الذين وصلوا إلى مقام القرب من الله تعالى، وأجلى مصاديق هؤلاء: النبيّ محمد(ص) وأهل البيت عليهم السلام، كما بحث في الطريق الموصل إلى مقام الولاية بالمعنى الخاصّ، مؤكِّدًا على أنَّ ذلك يعتمد على عنصرين؛ الأول عنصر المعرفة والعلم، والثاني العمل والعبادة، ولا شكّ في أنَّ الإخلاص شرط أساس في تحقُّق هذا المقام بمراتبه، وكلَّما اشتدَّ إخلاص العبد، كلّما كانت مرتبة ولايته أقوى وأعمق.

وهنا لا بدّ من التأكيد على أنَّ المصنِّف يرى أنَّ الإنسان لا يكون له ولاية في عرض ولاية الله تعالى بل ولا في طول ولايته تعالى، بل يكون مظهرًا لأسماء الله تعالى الحسنى، ولذلك فعل المعصوم مثلاً أو ولايته مرآة لولاية الله تعالى.

الكلمات المفتاحية: الولاية التكوينيَّة، الولاية التشريعيَّة، مظهر أسماء الله تعالى، القرب، المحبَّة، النصرة.

١ أستاذ في جامعة المصطفى العالميّة-فرع لبنان.

Guardianship of Man in the Holy Qur'an

■ Sheikh Ghassan Al-Asaad[1]

Abstract

This book addresses the issue of guardianship [Wilayah] in the Qur'an, considering it a station of human achievement on a spiritual level, according to the methodology of thematic exegesis. It explores the concept of guardianship [Wilayah] in its two forms: legislative and ontological. The author primarily focuses on ontological guardianship in its specific sense, which is a status granted to certain individuals who have reached a state of closeness to Allah. The most prominent examples of such individuals are the Prophet Mohammad (peace be upon him) and Ahl al-Bayt (peace be upon them).

The book further examines the path that leads to this specific station of guardianship, emphasizing that it is reliant on two main elements: the first is knowledge and understanding, and the second is action and worship. There is no doubt that sincerity is a fundamental condition for attaining this rank in all of its stages. The stronger the sincerity of the servant, the deeper and more profound their rank of guardianship becomes.

It is crucial to note that the author maintains that humans do not possess guardianship in the same realm as the guardianship of Allah, Almighty, neither in parallel nor in succession. Rather, they serve as manifestations of Allah's beautiful names. Therefore, the actions of the infallible or their guardianship are a reflection of Allah's own guardianship.

Keywords: Formative Guardianship, Legislative Guardianship, Manifestation of Allah's names, Closeness, Love, Victory

1 -Teacher at the Seminary [Hawza] of the Noble Messenger - Lebanon..

بطاقة الكتاب

اسم الكتاب: ولاية الإنسان في القرآن

مؤلف الكتاب: الشيخ جوادي آملي.

دارالنشر: دار الصفوة

تاريخ النشر: ١٩٩٣م.

عدد الصفحات: ٢٦٤.

مقدِّمة

تُعدّ الولاية من المفاهيم المركزيَّة في البنية العقديَّة والمعرفيَّة للقرآن الكريم؛ لما تنطوي عليه من أبعاد وجوديَّة ومعنويَّة تتَّصل اتصالاً وثيقًا بسؤال القرب من الله، وحقيقة التوحيد، وحدود الفاعلية الإنسانيَّة في عالم الإمكان. وقد شهد هذا المفهوم عبر تاريخ الفكر الإسلامي مقاربات متعدِّدة، تراوحت بين القراءة الفقهيَّة - السياسيَّة، والقراءة الكلاميَّة، وصولاً إلى المقاربة العرفانيَّة والفلسفية التي تنظر إلى الولاية بوصفها مقامًا كماليًّا ومرتبة من مراتب التحقّق الوجودي للإنسان. وفي هذا السياق يندرج كتاب «ولاية الإنسان في القرآن» لـ (الشيخ جوادي آملي)، بوصفه محاولة علميَّة منهجيَّة لإعادة بناء مفهوم الولاية على أساس قرآني، من خلال التفسير الموضوعي، وبمنأى عن الاختزال السياسي أو الاجتماعي الشائع.

ينطلق المؤلّف من رؤية فلسفية-عرفانيَّة ترى الولاية امتدادًا للتوحيد الأفعالي، وتجلّيًا لأسماء الله الحسنى في الوجود الإنساني، لا مقامًا مستقلاً أو موازيًا لولاية الله تعالى، ولا حتى في

طولهــا، بل مظهرًا لها ومرآة تعكس فعــل الحقّ في العالم. ومن هنا، يركّــز الكتاب على الولاية التكوينيَّة بالمعنى الخاصّ، باعتبارها رتبة وجوديَّة تتحقّق بالمعرفة، والعمل، والإخلاص، وتنتهي إلى شهود التوحيد ونفي الاستقلال عن الإنسان في العلم والقدرة والفعل. وبهذا المعنى، يقدّم الكتاب معالجة تتقاطع مع مباحث فلسفة الدين، ولا سيما في ما يتعلَّق بعلاقة المطلق بالمحدود، وحدود الفاعليَّة الإنسانية، وإشكاليَّة النسبة بين الإلهي والبشري.

وتهدف هذه المقالة إلى قراءة تحليليَّة لمضامين الكتاب، من خلال تتبّع بنيته التعليميَّة القائمة على الدروس، واستخراج مرتكزاته المفهوميَّة، ولا سيّما مفاهيم الولاية، والتوحيد، والإخلاص، والمعرفة، مع إبراز أُفُقه الفلسـفي والعرفاني. كما تسـعى إلى تقويم منهجه وتقسيمه، والوقوف عند بعض الملاحظات العلميَّة والمنهجيَّة، بما يتيح وضع هذا العمل في سياقه المعرفي ضمن دراسات الولاية والقرآن وفلسفة الدين المعاصرة.

عرض مضامين الكتاب

ويبــدو أنَّ المصنِّــف أراد أن يجعل الكتاب على هيئة الكتاب التدريسيّ؛ لذا فقد قسّــمه إلى مقدِّمة وواحد وعشرين درسًا.

هذا، وقد تضمَّنت المقدِّمة ست نقاط أساس يمكن اختصارها في الآتي:

١. يشــير المصنّف في النقطة الأولى إلى أنَّ العلم موجود مجرَّد، وكلّ وجود فهو كمال؛ ولا شــكّ في أنَّ لهذا الكمال درجات ومراتب شأن كلّ ما هو موجود. ولكنَّ الإنسان إذا اتّخذ العلم وسـيلة للمراء والتفاخر والتكبّر على الآخرين أو إساءة الاستفادة منه، فسيتحوّل هذا العلم إلى حجاب وجهل.

٢. حثّ الإسـلام على تحصيل العلم بأقسامه المختلفة، أي: الحكمة الإلهية، والحكمة العملية، والعلم التجريبي، وقد شدّد المصنّف على أهميَّة دراسة علوم الطب والفيزياء والرياضيــات وغيرها باعتبارها من العلوم الضروريَّة التي نحتاج إليها في بناء مجتمع متطـوّر ومتقدّم، ولكــنّ المصنّف أكّد في الوقت نفســه عــلى ضرورة الالتفات إلى أنَّ التمــدّن وبناء النمــوذج الحضاري لا يمكن أن يجري عــن طريق تحصيل العلوم

التجريبيَّة فقط، بل يحتاج التمدُّن إلى أنحاء العلوم الثلاثة المذكورة معًا.

٣. يمثِّل الإسلام منظومة متكاملة، بل هو مدينة من العلم، وبالتالي فإنَّها تتضمَّن أشكالاً مختلفة من العلوم، سواء أكانت إلهيَّة أم عمليَّة أم تجريبيَّة، وبالتالي فإنّها تمثِّل التحقّق اللفظي للإسلام، في حين أنَّ المعصوم يمثّل التحقّق العيني.

٤. يـرى المصنّف أنَّ الجامعات تهتمّ بتدريس العلـوم التجريبيَّة، بينما تتولّى الحوزات العلميَّة الاهتمام بتدريس العلوم الإلهيَّة والعمليَّة.

٥. يشير المصنّف في هذه النقطة من مقدّمته إلى أنَّه ليس المقصود من الولاية في الكتاب ما يمكن تسميته بالولاية الاجتماعيَّة أو السياسيَّة بل المراد هو ولاية أولياء الله تعالى، والفارق بـين الولايتين، أنَّ الولاية الاجتماعيَّة والسياسـيَّة هي مجـرّد ولاية اعتباريَّة جعليَّــة، بينما ولاية أولياء الله فهـي رتبة وجوديَّة وكماليَّة، وبالتـالي يمكن القول إنَّ ولايــة أولياء الله -تعالى- عبـارة عن تكليف عيني، بخلاف الولايــة الاجتماعيَّة التي تعتبر مقامًا إنشـائيًّا وجعليًّا، ولذلك يمكننا أن نفهم انطلاقًا من هذا التفريق لماذا كان أئمَّة أهل البيت عليهم السلام يزهدون في هذا المنصب، وبذلك يمكن أن ندرك أنّ هذه الولاية الإلهيَّــة لا يمكن إزالتها عنهم، فهي جـزء لا يتجزّأ من حقيقيـة وجودهم ومقامهم، بخلاف ولايتهم الجعليَّة. ومع ذلك فإنَّ أئمَّة أهل البيت عليهم السلام حذّروا أتباعهم من تولِّي مـن ليس أهلاً لهذا المنصب الحسّـاس؛ لما له من تأثير على المجتمع، سـواء أكان على المستوى الاجتماعي أم الاقتصادي أم السياسي... ولا شكّ في أنَّ أبرز مصداق لأوليـاء الله هم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأئمَّة أهل البيـت عليهم السلام، وقد طلبوا هذا المقام المعنوي في أدعيتهم المنقولة عنهم.

٦. يشير المصنِّف في النقطة الأخيرة من المقدِّمة إلى أنَّ الوصول إلى مقام الولاية الإلهيَّة يعني أنَّ الولي وصل إلى مرحلة شهود توحيد الله تعالى؛ حيث إنَّ كلَّ كمال وجودي يراه راجعًا إليه تعالى. ومن هنا، فإنَّه يمكن القول إنَّ الكمالات الوجوديَّة التي يحتاجها السالك في طريق السلوك لا بدّ أن تُسلب عنه حين الوصول، والكمالات التي نتحدّث عنها عبارة عـن العلم والحياة والقدرة، وبالتالي فإنَّه عندما يتحقّق للولي مقامه، يجد

أنَّــه ليس لديه علــم ولا قدرة ولا اقتدار في قبال الحقّ تعالى، وهذا راجع إلى شــهود التوحيد، ففي ظلّ التوحيد يجد السالك أنَّه لا ظهور لأيّ من الكمالات في قبال الحق المتعالي.

وإذا كان الحال ذلك، فلا شكّ عندها في أنَّ الطريق الوحيد للوصول هو شهود الحقّ تعالى، ويكون الحجاب عن شهوده في الواقع عبارة عن رؤية السالك غير الحقّ في وجوده، فكلّما اشتدّ توحيد العبد كلّما استطاع الوصول إلى مقام الولاية وشهود الحقّ. ومن هنا نستطيع أن ندرك سبب وقوع التفاوت في درجات الولاية بين أولياء الله، فمن انقطع إلى الله تكون مرتبته أعلى ممَّن لم يكن انقطاعه كاملاً؛ حيث يرى غنى الله المطلق، مقابل فقر الآخرين المحض.

ذكرنــا ســابقًا أنَّ الكتاب موزَّع على مقدّمة وواحد وعشرين درسًــا، وســوف نحاول في هذه الدراسة المختصرة بيان أهمّ ما ورد في هذه الدروس بشكل متسلسل.

الدرس الأول:

بــيّن المصنِّف في هذا الدرس معنــى الولاية لغة واصطلاحًا، ومتعمّقًــا في معناها الوارد في القــرآن الكريــم؛ إذ تعتبر الولاية نوعًا من القــرب الخاصّ بين الله وبين عباده. وتجدر الإشــارة إلى أنَّ القرب واحد من جهة الله تعالى، أي إنَّ قرب الله -تعالى- من عباده متســاوٍ، ولكنَّ العباد مختلفون في درجة قربهم منه تعالى، وبعبارة أخرى إنَّ التفاوت في القرب بين العباد سببه العباد أنفسهم، وليس الله.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ القرب ليس من المقولات الإضافية، بمعنى أنَّه إذا كان الله قريبًا، فهذا يعني أنَّنا قريبون منه، فها المعنى إضافي، بينما القرب المقصود هنا يعدّ من المقولات الإشراقيَّة، بحســب تعبير المصنّف، باعتبار أنَّ الله خالق الإنســان الذي يقوم بــدوره بإقامة علاقة وارتباط مع الله، ويمكــن توضيح ذلك بأن نقول إنَّ العلاقة من جهة اللــه -تعالى- إيجاديَّة؛ حيث يقول تعالى: ﴿**إنَّما أمره إذا أراد شــيئًا أن يقول له كن فيكون**﴾ [يــس: ٨٢]، فهذه الآية تعبّر عن هــذه العلاقة، والخطاب في الآية بقوله تعالى: «كُــنْ» ليس خطابًا لفظيًا، بل هو خطاب تكويني ولا يحتاج إلى مخاطَب خارجي.

والنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام مظهر من مظاهر الولاية، باعتبار أنَّها من أسماء الله الحسنى، وعلى الإنسان أن يسعى أن تكون له درجة من هذه الولاية، وعلى الأقل أن تكون له ولاية على نفسه، ليمنعها من الانجرار وراء الشهوة، فتكون الولاية للشيطان.

الدرس الثاني:

يؤكّد المصنّف في هذا الدرس على أهمِّيَّة الارتباط بين الأفراد، وضرورة تعميق أواصر المحبّة والنصرة، وذلك بما يحقِّق التأثير المتبادل بينهم؛ حيث يدعو القرآن الكريم ويحثّ على تعميق أواصر الأخوَّة بين المؤمنين، وفي المقابل ضرورة حصر الولاية بينهم، وأن لا يكون بينهم وبين غير المسلمين ولاية.

ويؤكّد المصنّف على ضرورة التمييز بين الوِلاية وبين الوَلاية، فالأولى بالكسر بمعنى النُّصرة، وأمَّا الوَلاية (بالفتح) فبمعنى التدبير والقيادة.

الدرس الثالث:

يشير المصنّف في هذا الدرس إلى أنَّ القرب في الجوانب المعنويَّة ليس من نوع النسبة والإضافة المتوافقة الأطراف، بل هي من قبيل الإضافة المتخالفة الأطراف، فقد يكون شخص ما قريبًا من الآخر معنويًّا، ولكنَّ العكس قد لا يكون صحيحًا؛ لذا فإنَّه على الرغم من قرب الله من جميع خلقه، لكنَّ الإنسان قد يكون بعيدًا عنه أيضًا.

من جهة أخرى يشير المصنّف إلى أنَّ القرآن الكريم يمنع المؤمنين من ولاء النُّصرة والمحبَّة مع غير المؤمنين، خوفًا وحذرًا من سريان ذلك إلى ولاء التدبير والقيادة.

ولا شكّ في أنَّ الولاء في التدبير والقيادة قد يكون ولاء حقّ وقد يكون ولاء باطل، والميزان والمعيار في التمييز بينهما هو المولى، فإذا كان المولى هو الله، فالولاية ولاية حقّ، وإذا كان المولى غيره -تعالى- فالولاية ولاية باطل. ومن كانت ولايته الباطل، فستظهر حقيقة ولائه يوم القيامة: ﴿**مأواكم النار هي مولاكم**﴾ [حديد: ١٥].

الدرس الرابع:

يؤكّد المصنف على أنَّ الولاية متحقِّقة في الخارج، وإذا تأمَّلنا في أنفسنا لوجدنا أنَّ لأنفسنا نوعًا من الولاية على شؤونها التدبيريَّة، فنحن نقود أنفسنا في كثير من الشؤون، ومن هنا ينطلق النصّ القرآني ليثبت أنَّ الإنسان وليّ لله تعالى، ومن صفات وليّ الله أنَّه يكون في حصن التوحيد، وهذا يعني أنَّه يكون في مأمن، فلا يخاف ولا يحزن، ﴿**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ [يونس: ٦٢]، فليس لدى الوليّ الذي وصل إلى حصن التوحيد ما يخاف فقدانه، فما هو محبوب المؤمن لا يمكن أن يفقده، وهو الله تعالى.

ويقسِّم المصنّف ولاية الله على عباده إلى ولاية عامة وولاية بالمعنى الأخصّ، مُفاد الأولى أنَّ كل عالم الوجود تحت ربوبيته، فيما مُفاد الثانية أنَّها تتضمّن رحمة وعناية خاصَّة من الله تعالى لأوليائه، علمًا أنَّ الولاية بالمعنى الأخصّ لا تتحقَّق في أفراد المؤمنين عامّة بل تختصّ بأفراد المعصومين عليهم السلام.

الدرس الخامس:

بيّن المصنّف في هذا الدرس أنَّ طريق الولاية والقرب من الله -تعالى- هو الطاعة له سبحانه، والمعصية طريق البعد عنه، والضلال عن طريقه، كما أنَّ الله -تعالى- حصر الولاية والتدبير بنفسه؛ حيث قال: ﴿**وما لهم من دونه من والٍ**﴾ [الرعد: ١١]، فلا ولاية لغيره تعالى؛ ولذلك لا يمكن أن يوجَّه الحمد إلى غيره تعالى.

الدرس السادس:

انطلاقًا من ما مرّ بيانه في طريق تحقُّق الولاية، فلا شكّ عندها في أنَّ الميل إلى الدنيا والغرق في ملذّاتها يشكّل مانعًا من تحقُّق الولاية، يقول تعالى: ﴿**ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه**﴾ [الأعراف: ١٧٦]، فلا ينبغي للإنسان أن يتوقَّع ما ينفعه عند غيره تعالى، فهذا توهّم باطل وسيجرّه إلى الخيبة والضلال.

ويشير المصنّف إلى أنَّه إذا صار الإنسان مظهرًا لولاية الله تعالى، فإنَّه إذا دعا الله بنزول المطر،

فإنَّ المطر سيهطل مباشرة، وأمَّا إذا لم يكن مظهرًا لولايته تعالى، فلن يكون قادرًا على فعل شيء.

الدرس السابع:

بـينّ المصنّف في هذا الدرس أهمِّيَّـة العبادة بوصفها طريقًا للتقـرّب إلى الله تعالى، بل تعدّ العبادة في القرآن الكريم طريقًا إلى تحصيل اليقين؛ حيث يقول تعالى: ﴿**واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**﴾ [النحل: ٩٩]، ولا شكّ في أنَّه ليس المراد من اليقين هنا هو اليقين بوجود الله، باعتبار أنَّ العبادة إنَّما تنطلق في الأصل من إيمان العبد بخالقه وربِّه، فهي تنشأ بسبب هذا اليقين، فكيف تكون سـببًا في حصوله، من هنا فإنَّ المصنّف يؤكّد على أنَّ اليقين المقصود هو اليقين بصفات الله تعالى المطلقة، أي الاعتقاد اليقين بوحدانيَّته ومالكيَّته.

ومعنى معرفة الله بصفاته المطلقة هو أن يتحوّل الإنسان إلى مرآة لجلال الله وجماله، وبعبارة أخـرى أن يتحوَّل إلى مظهر للكمالات الإلهية، وهذا معنى انحصار الولاية به تعالى؛ لأنَّ معنى «التوحيد الأفعالي» في الواقع هو أن يكون الله هو الوليّ في جميع شؤون الإنسان.

الدرس الثامن:

تعرّض المصنّف في هذا الدرس لمسـألة التوحيد الأفعالي، فمن الواضح وفق السـياق العام الذي قدّمه المصنف في الدروس السـابقة أنَّ المحـور في الولاية هو التوحيد، ومن الواضح أنَّ كون الإنسـان مظهرًا لولاية الله تعالى إنَّما يرتبط بشـكل أسـاس بالتوحيد الأفعالي، فبناء عليه يكون كلّ ما في الوجود الإمـكانيّ محتاجًا إلى الله تعالى وجودًا وبقاءً، وبالتالي فإنَّ الله تعالى مالك لجميع خلقه، وما نحن إلا أمانة يجب إرجاعها إليه تعالى، فمالكيَّة الله تعالى قضيَّة واقعيَّة حقيقيَّة واقعيَّة مسلَّمة باعتبارها أصل وجوده تعالى، فعلى الإنسان أن يطهِّر نفسه من كلّ ما يمنع من تجلّي الأنوار الإلهيَّة في قلبه.

الدرس التاسع

خصّـص المصنِّف هذا الدرس للتأكيد على دور الإخلاص في التقرّب إلى الله تعالى؛ حيث

يعتبر المصنّف أنّ الإخلاص هو الطريق الوحيد الموصِل إليه تعالى، ولا شكّ في أنّ أعلى درجات الإخلاص كانت متحقّقة في النبي الأكرمﷺ، وفي أهل البيتعليهم السلام، وبالتالي تكون ولايتهم ومظهريّتهم لولاية الله أقوى من أي مخلوق آخر.

الدرس العاشر:

يؤكّد المصنّف في هذا الدرس على أنّ من يريد التقرّب إلى الله تعالى، فلا بدّ له من تحقيق أمرين أساسين؛ الأول: المعرفة، الثاني: الإخلاص، والمعرفة هي الأصل، بينما الإخلاص فرع، فلا إخلاص دون معرفة.

ومن هنا فإنّ الإنسان لا يصير وليًّا لله تعالى إلّا إذا صار مظهرًا للصمد، وقد وصف الله -تعالى- من يصلون إلى هذا المقام بأنّهم ﴿**أولو الألباب**﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وذلك مقابل من تولّى الشيطان فصارت ﴿**أفئدتهم هواء**﴾ [إبراهيم: ٤٣].

وأهم مانع من تحقّق الصمديّة في الإنسان هي الموانع الداخليّة، وهي الوهم والخيال، فكلّما سيطر الوهم والخيال على الإنسان كلّما ابتعد عن الواقعيّة، من قبيل من يخاف الظلمة، فهذا الخوف لا ينشأ من أمر واقعي، بل من توهُّم الإنسان. ومن الموانع ما يُسمَّى بالموانع الخارجيّة، كالشيطان والمشركين الذين يحاولون حرف الحقائق وإضلال الناس.

وفي سياق آخر يؤكّد المصنِّف على أنّ الجزاء يوم القيامة ليس إلا العمل نفسه، فالإنسان الذي جعل قلبه مسرحًا للشيطان والوَهم، فسوف يُحشَر يوم القيامة، وسوف يبرز هناك الوجه الحقيقيّ للخيالات والأوهام التي جعلها تسيطر على ساحة قلبه؛ ولذلك كان ذكر الموت مُزيلاً للأوهام والخيالات ومانعًا من ارتكاب الذنوب، فحتى يصل الإنسان إلى مقام القرب لا بدّ له من يصير مظهرًا لصمديّة الله تعالى.

الدرس الحادي عشر:

من الواضح أنّ الصمد هو الخالي من العيوب؛ لذا فإنّ الإنسان ينبغي أن يحفظ نفسه من الوقوع في أي عيب أو ذنب، فلا بدّ من أن يكون خاليًا من العيوب العلميّة والعمليّة.

ويمكن للإنســان أن يكون مظهرًا للصمديَّة من الناحية العلميــة وإن كان لا يمكنه إدراك كنه ذاته تعالى؛ لأنَّ الذات المقدَّســة لا يمكن أن تكون متعلَّقًا لعلم الإنسان، وبالتالي يمكن القول إنَّ تمام العلم هو معرفة أصول الدين.

وأمَّا على المستوى العملي، فالإنسان يجب أن يعبد الله -تعالى- إلى أن يصير قلبه ممتلئًا حبًّا لله، وقد ورد في الدعاء: «اللهمَّ إنيِّ أسألك أن تملأ قلبي حبًّا لك»، وبالتالي فطريق الولاية مفتوح أمام الإنسان، ومن هنا نعلم أنَّ الإسلام يمثِّل مظهر الصمد؛ لأنَّه الدين الجامع.

الدرس الثاني عشر:

يتحـدَّث المصنِّف في هذا الدرس عن العلاقة بين المعرفة وبين النيَّة، مؤكِّدًا على أنَّ المعرفة أصل والنيَّة فرعها. لذا، فإنَّ عمل الشيطان ينصبّ على تشويه الساحة العلميَّة والفكريَّة، ليتمكّن بالتالي من السيطرة على النيَّة وتشويهها بتبع ذلك.

فالقوَّة النظريَّة هي التي تجعل الإنســان بعيدًا عن ســلطان الوهم، وبالتــالي فإنّ ذلك يمكّنه من الســيطرة على قواه المختلفة، وتجعله قادرًا على الابتعاد عن الدناءة والهوى. ويمكن تعزيز الجانــب العلمي والنظري من خلال العبادة؛ لأنَّها تورث اليقين، وبالتالي فإنَّ الإنســان إذا صار صمدًا في العلم والعمل، فلن يكون للشيطان ولاية عليه، وسيكون مظهرًا لاسم الوليّ.

الدرس الثالث عشر

يتعرَّض هذا الدرس لمســألة التقــرّب إلى الله وأثره على العبد، فإذا صار العبد بســبب تقرّبه محبوبًا لله تعالى، فإنَّ الله يتولىَّ جميع شــؤونه الإدراكية والعملية، وقد اســتفاد المصنّف هذه النتيجة من الحديث المعروف بقرب النوافل. وهنا يؤكّد على أنَّ أولياء الله -تعالى- يهتدون بنور الحقّ، وبالتالي لا يكونون عرضة للضلال والزلل، ولا تجرّهم الأهواء النفسانيَّة؛ لمعرفتهم التامَّة بحقيقة هذه الدنيا الزائلة.

ويؤكّـد المصنّف على ضرورة الالتفات إلى أنَّ تحقُّق الولايــة لفرد لا يعني تفويض أمور الدنيا إليه، فاللّه هو الربّ الواحد، ولا يمكن تجزئة ربوبيَّته، فضلاً عن أنَّ الفقر مقوّم لجميع

الموجـود الإمكانيات، وهذا يعني أنَّ كلَّ ممكن لا يسـتغني في وجوده، فضلاً عن تصرّفاته وأفعاله، عن الله تعالى، فكيف يصحّ أن تُفوّض أمور الخلق إليه والحال أنَّه هو نفسه يحتاج إلى مقوِّم.

الدرس الرابع عشر:

يبحث هذا الدرس في الولاية التكوينية والولاية التشريعية، ومن المعلوم أنَّ الولايتين فرع من فروع ربوبيّته تعالى، وقد بيّن المصنّف ذلك من خلال جملة من المقدّمات المعمّقة.

الدرس الخامس عشر:

من المعلوم أنَّه لا ولاية لأحد في عرض ولاية الله تعالى؛ لأنَّه ليس لأحد استقلال في الوجود فضلاً عن التصرف والتدبير في قبال الله -تعالى- بل إن المصنّف يؤكّد أنَّه لا ولاية لأحد في طول ولاية الله، فهو تعالى صمد، وبالتالي لا يبقى خلأ لآخر في الوجود غيره حتى يكون له ولاية على التصرّف والتدبير، سواء أكانت في عرض ولايته الله أم في طول ولايته تعالى، ومن هنا فإنَّه ينبغي التأكيد على أنَّ الولاية التي تُنسب إلى غير الله -تعالى- إنَّما هي مظهر وآية من آيات الحقّ تعالى.

وينبغي الالتفات في المقام إلى نقطة جديرة بالاهتمام ترتبط بصفات الولي؛ حيث لا بدّ من أن يكـون الوليّ متّصفًا بالعلم والقدرة المطلقتين، وإلا فإنَّه لا يكون وليًّا، فلا وليّ غيره تعالى، ومن هنا يؤكّد المصنّف على أنَّ الله وحدةٌ قاهرةٌ لا تترك أي مجال وجودي ليكون ثَمَّة غيرٌ، فضلاً عن أن يكون ثَمَّة وليّ غيره.

الدرس السادس عشر:

يعالج هذا الدرس مسـألة انحصار الولاية التشريعيَّة به تعالى؛ حيث إنَّه لا أحد غيره -تعالى- يملك شـأنًا من شؤون الإنسان بحيث يحقّ له التقنين والتشريع، ومن هنا يؤكّد سماحته على أن حاكميَّة النبـي ﷺ لم تكن في طول حاكميَّة الله، فضلاً عن أن تكون في عرضها، بل هي مظهر من مظاهر حاكميَّته ومرآة لها.

الدرس السابع عشر:

يستكمل المصنِّف في هذا الدرس معالجة مسألة الولاية التشريعيَّة والتكوينيَّة، ويستحضر مزيدًا من الأدلَّة القرآنيَّة على انحصار الولاية به تعالى، خاصَّة أنَّه هو الخالق والعالم بأسرار الكون والخلقة، ومن كان كذلك ينبغي أن يُعبَد وأن تكون الولاية له لا لسواه.

الدرس الثامن عشر:

يتناول هذا الدرس أقسام الولاية التكوينيَّة؛ حيث ذكر المصنّف أنَّ ثمَّة ولاية تكوينيَّة عامَّة وأخرى خاصَّة، أمَّا العامَّة فتشمل جميع المخلوقات، ولذلك فإنَّ لكلٍّ منّا سلطان وولاية على تصرّفاته، وأمَّا الخاصَّة فتختصّ بالمؤمنين. وفي سياق آخر أشار المصنّف إلى أنَّ الولاية التشريعية المنسوبة إلى الأنبياء عليهم السلام، إمَّا أن تكون بمعنى تبيين الآيات الإلهيَّة، وإمَّا بمعنى مواجهة الانحرافات والمخالفات التشريعيَّة.

الدرس التاسع عشر:

يرى المصنّف أنَّه على الرغم من أنَّ ظاهر القرآن الكريم انحصار الولاية التشريعيَّة بالأنبياء عليهم السلام، ويُقصد بها إبلاغ الرسالة، لكنَّ الولاية التكوينيَّة ليست كذلك، فهي تشمل كلّ من يملك قدرة على التأثير خارجًا، ومنه ولايتنا على تصرّفاتنا مثلاً، وأمَّا الولاية الخاصَّة، فلا شكّ في ثبوتها لبعض الأشخاص، كما هو ظاهر الكتاب، والجدير بالذكر أنَّ هذه الولاية لا تكون نابعة من الألفاظ والمفاهيم، بل هي نابعة من نوع آخر من العلم، وهو العلم بالاسم الأعظم، وليس هو العلم بمعنى الوجود الذهني، بل هو علم يحصل من أنس الروح بأعظم الأسماء، ومن هنا ينبغي الالتفات من جديد إلى أنَّ هذه الولاية في الحقيقة هي مظهر ولاية الله.

الدرس العشرون:

يستعرض المصنّف في هذا الدرس جملة من النماذج لأفراد كانت لديهم ولاية تكوينيَّة بالمعنى الخاصّ، وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم، مشيراً إلى أنَّ ولايتهم مرتبطة بما كانوا

يمتلكونه من العلم اللدُنيّ، وهذا العلم إنّما يهيّئه الله -تعالى- لمن يمتلك صفة الاستقامة على الطريق الإلهي، وبالتالي لا ينحصر ذلك بالأنبياءعليهم السلام.

الدرس الحادي والعشرون:

يبحث هذا الدرس بشكل مفصّل في تحصيل بعض الأفراد للولاية التكوينيَّة وعدم اختصاصها بالأنبياءعليهم السلام، وقد دلّت مجريات التاريخ على تحقّق ذلك على يد عدد من الأولياء. والجدير بالذكر أنّ هؤلاء لا يصلون إلى هذه الرتبة إلا بعد الإيمان بالأنبياءعليهم السلام والشرائع.

وفي سياق آخر أشار سماحته إلى دور الروح القدس في هذا المجال؛ حيث يرى أنَّ الروح القدس عبارة عن درجة عالية من النفس الإنسانيّة، وبالتالي ليست روحًا مستقلّة كما قد يُتوهَّم، ويمكن للإنسان الوصول إلى هذه الدرجة العالية بعد طيّ مراحل معقَّدة يصل معها الإنسان إلى مقام القدس، فيصير بذلك مظهرًا لاسم من أسماء الحقّ تعالى.

ملاحظات عامة:

على الرغم من أهمية الكتاب وعمق مضامينه، لكنَّنا وجدنا أنَّ ثمّة بعض الملاحظات لا بدّ من ذكرها، وسنحاول اختصارها قدر الإمكان:

١. يبدو أنَّ الكتاب في الأصل مقسّم إلى أربعة فصول، وهذا ما يظهر من بعض الفقرات في الكتاب، لكنَّ الطبعة التي بين أيدينا أغفلت هذا التقسيم؛ حيث توزّع الكتاب كما هو واضح على واحد وعشرين درسًا، وهذا -برأينا- أدَّى إلى حصول خلل في منهجيَّة الكتاب، وخاصَّة أنَّه لم تجرِ مراعاة التقسيم الجديد أثناء صياغة بعض الفقرات التي يبدو واضحًا فيها أنَّها تستند إلى التقسيم الرباعي لفصوله.

٢. كان ينبغي أن تجري صياغة عنوان لكلّ درس من الدروس، بحيث يسهل على القارئ فهم الكتاب بشكل أوضح. وخاصَّة إذا كان الكتاب مخصَّصًا للتدريس.

٣. من الملاحظ أنَّ ثمّة بعض التكرار في فقرات بعض الدروس وفي الأفكار العامَّة، ولعلَّ السبب في ذلك أنَّ الكتاب في الأصل مقسَّم إلى أربعة فصول ثمَّ جرى

تقسيمه إلى دروس ما أدَّى إلى مثل هذا الخلل.

٤. على الرغم من أن الكتاب يخلو من التعقيد، لكنَّه ينبغي الالتفات إلى أنَّ مضامين الكتاب دقيقة وتحتاج إلى مقدِّمات ينبغي تحصيلها، لذلك ينبغي أن يكون الكتاب مخصَّصًا لمن يمتلك المقدِّمات اللازمة.

٥. أخيراً توجد بعض الأخطاء النحويَّة والطباعيَّة في الكتاب.